ومن المحتمل الى ان الكائنات البشرية القديمة التي انحدر الانسان العاقل منها كانت تعيش في جماعات تشبه الجماعات الحيوانية الموجودة الان بمعنى انها لم تكن تنسق اعمالها الا بقدر ضئيل كما أن كلا منها كان يعمل على حدة في الأغلب الا فيما يتعلق بالعناية بالصغار وجي تضطرها الظروف لذلك، وبخاصة حين يهددها خطر خارجي. وقد اقتضت ظروف الحياة وبخاصة في مرحلة الصيد والقنص التي مر بها المجتمع الإنساني وهي مرحلة مبكرة من حياته الى ازدياد التعاون بين أفراد الجماعة وظهرت اللغة بذلك على ما يقول العلماء التطوريون – كأداة لتسهيل العمل التعاوني ، ومع ذلك فان من الصعب القول بان التعاون هو السبب الوحيد في نشأة اللغة ٤ لأن كثيرا من الجماعات البشرية يقوم بينها نوع من التعاون الوثيق دون أن يكون لديها لغات ، وأن كان التعاون عندها يقوم على اسس مختلفة عما نجده في المجتمع الانساني، لأن الناس لا يولدون للقيام بأدوار محددة بالذات، وانما يتعلمون سلوكهم من المجتمع ، وتقوم اللغة بدور هام جدا في هذا المجال[1] .

ولقد أجريت ثلاث محاولات على الأقل خلال التاريخ لعزل بعض الأطفال الصغار قبل ان يبداوا الكلام وذلك التعرف على ما اذا كان في استطاعتهم خلق لغة خاصة بهم ، وبالتالي التأكد مما اذا كانت اللغة ظاهرة تلقائية غريزية ، وقد قام بأولى هذه المحاولات الثلاثة المعروفة بسماتيك فرعون مصر، وقام بالثانية فردريك الثاني في صقلية عام ١٢٠٠ ميلادية ، وقام بالثالثة الملك جيمس الرابع في إسكتلندا حوالي عام ١٥٠٠، ميلادية، وربما كانت هناك محاولات وتجارب أخرى غير معروفة أو مشهورة تماما، ولكن يوجد الى جانب ذلك قصص عديدة حديثة نسبيا عن اطفال نشأوا بين القردة أو الذياب او الكلاب أو الغزلان وكل هذه القصص والمحاولات لمعرفة نشأة اللغة لا تضيف شيئا الى معلوماتنا سوى ان هؤلاء الأطفال الذين لم يتعلموا منذ صغرهم اللغات الإنسانية، لم يلبثوا أن تقبلوا تلك اللغات بسهولة ويسر بعد ذلك حين اتصلوا

---

[1] Hoijer, H.; in Shapiro, op. cit pp. 201-202.

بالناس ؛ وهو أمر لا يمكن للحيوانات التي كانوا يلعبون معها أن تفعله على ما يقول ماريون بيي[٢] (Marion Pie) وربما كان ذلك دليلا على تكيف الاجهزة الصوتية عند الانسان لتقبل اللغة والكلام ، انما المهم هنا هو أن أصوات الحيوانات – سواء اعتبرناها (لغات) أم لم نعتبرها كذلك – تتميز بالرتابة وعدم التنوع أو التغير ، فالكلاب كانت تنبح دائما وكذلك كانت القطط تموء منذ أقدم العهود مثلما تفعل الان. وصحيح أن بعض الشراح الإغريق الاخرين شهبوا صوت الغنم بالحرف اليوناني الذي له قيمة حرف الباء، الا أن الحروف اليونانية ذاتها تغيرت ولم يتغير صوت الغنم. وعلى العكس من ذلك فان اللغة الانسانية تكشف عن درجة عالية جدا من التنوع، سواء في الزمان أو المكان، ويعتبر النشاط والتغير هما جوهر اللغات الحية[٣].

***

---

[2] Pei, M. op. cit. p.10.

[٣] بل ان اللغات (الميتة) ذاتها قد تخضع هي أيضا للتغيير كما هو الحال عندما حاول الفاتكان ان يدخل (موتيسيكل) وهي كلمة حديثة نسبيا الى مفردات اللغة اللاتينية فأسماه Birto ignifero latice incita أي عربة ذات عجلتين تسير بسائل يحمل النار في جوفه، انظر loc. Cit